

مجلة الفكر المتوسطي
العدد الحادي عشر / جوان 2016

الفكر المتوسطي

مجلة فصلية علمية محكمة تصدر عن "مخبر حوار الديانات
والحضارات في حوض البحر المتوسط"
جامعة أبي بكر بلقايد - تلمسان
الجزائر

جميع حقوق النشر محفوظة لمنشورات المخبر

أشرف على الطبع والخراج الفني
مكتبة سليمان - تلمسان



مجلة الفكر المتوسطي
العدد الحادي عشر / جوان 2016

مدير المجلة

أ.د. سعدي محمد

رئيس التحرير:

د. بوخضرة بن معمر

المراسلات باسم:

مخبر حوار الحضارات والديانات في حوض البحر

المتوسط

جامعة تلمسان

البريد الإلكتروني

labosaidi13@gmail.com

الفكر المتوسطي

مجلة فصلية علمية محكمة تصدر

عن "مخبر حوار الديانات

والحضارات في حوض البحر

المتوسط"

جامعة أبي بكر بلقايد – تلمسان

الجزائر

حقوق النشر محفوظة لمنشورات

المخبر

العنوان:

مجلة الفكر المتوسطي، مخبر

حوار الحضارات والديانات

في حوض البحر المتوسط –

جامعة تلمسان

الطبع: مكتبة سليمان

العنوان البريدي:

amiratsliman@yahoo.com

العدد حادي عشر جوان 2016

الفكر المتوسطي

إدمد: ISSN 2335-1543
ب. ر. س. س.

مجلة الفكر المتوسطي العدد الحادي عشر / جوان 2016

ترحب المجلة بمشاركة الأستاذة والباحثين في العلوم الاجتماعية والانسانية ويشترط في نشر المقال الشروط الآتية:

- ملخص للمقال مع كلمات مفتاحية باللغات التالية (العربية، الفرنسية، الانجليزية).
- تدون الهوامش وترتب في نهاية المقال حسب أسبقية ورودها في المتن.
- يقدم الباحث المقال وفق المقاييس التالية: حجم خط المتن 16 Traditional Arabic، حجم خط الهوامش 14 بنفس نوعية خط المتن .
- يجب أن لا يزيد عدد صفحات البحث المقدم للنشر على 25 صفحة بما في ذلك الأشكال والرسومات والمراجع والجداول والملاحق.
- ترفق المادة المقدمة للنشر في قرص مضغوط ونسخة ورقية مرفوقة بنبذة من سيرة الباحث مع عنوانه الإلكتروني.
- تتولى المجلة نشر المقالات وفق برنامجها وأجندتها العلمية الخاصة.
- قد تبلغ المجلة صاحب المقال عن نتائج الخبرة من أجل تصحيح أو إعادة النظر في قضايا علمية فقط .
- المقال الذي يتعذر على المجلة نشره لا يعاد إلى صاحبه.
- كل المراسلات توجه إلى السيد مدير التحرير على العنوان التالي:

labosaidi13@gmail.com

**المقالات المنشورة في المجلة لا تعبر إلا عن رأي أصحابها ولا تعبر بالضرورة عن رأي
المجلة**

مجلة الفكر المتوسطى
العدد الحادى عشر / جوان 2016

أعضاء إدارة المجلة

الرئيس الشرفى للمجلة: أ.د. جعفر مصطفى

مدير المجلة : أ.د. سعيدى مُجَد

رئيس التحرير: د. بن معمر بوخضرة

الهيئة الاستشارية:

- غنيمات مصطفى (الأردن) - منصف خميري (تونس)

- أوشاطر مصطفى (الجزائر) - اليعبودي خالد (المغرب)

- مجاود مُجَد (الجزائر) - وجيه حمد عبد الرحمن (الأردن)

- حاج سماحة (الجزائر) - مُجَد بن سعيد (الجزائر)

- مُجَد الناصر صديقي (تونس) - توفيق بن عامر (تونس)

- سارة بربوشي (فرنسا) - جلول صديقي (فرنسا)

- أ.د. مُجَد جمال ماضي أبو العزائم (المركز العربي للدراسات الاقتصادية والعربية الاجتماعية والنفسية
- القاهرة- مصر).

اللجنة العلمية :

- أ.د. سعيدى مُجَد

- بن لباد الغالي - ملياني مُجَد

- زازوي موفق - بن معمر عبد الله

- بلقرنين عبد القادر - عطار عبد المجيد

- بن معمر بوخضرة - سنوسي فايزة

- عواج بن عمر - سعيدى مُجَد (مستغانم)

- مناد إبراهيم - ملوكي جميلة

اللجنة العلمية :

- سعيدى منال وسام - عباس رضوان - عايد كمال

- شيخي مريم - بلحساين آمنة

مجلة الفكر المتوسطي
العدد الحادي عشر / جوان 2016

محتويات العدد الحادي عشر

الصفحة	العنوان
05	كلمة مدير المجلة
07	المائدة وهوية انتماء العائلة التقليدية المغربية-دراسة أنثروبولوجية رمزية أ.د. سعيد محمد
23	الأبعاد التربوية و الاجتماعية في أدب الطفل د. بن معمر بوخضرة
29	المواطنة و التعايش في خطاب حركات الإسلام السياسي د. زازوي موفق
37	المتصوفة بين التفسير والتأويل د. بن لباد الغالي
50	التصوف بالمغرب الإسلامي د. عباس رضوان
62	استعمال الأحلام كتقنية علاجية نفسية. طالبة دكتوراه جميلة ملوكي - أ.د. بختاوي بوجراف
82	الثورة عند المثقف الديني - قراءة سوسيونفسية في خطاب الربيع العربي د. مغراي سليم / د. سعد الحاج
105	السلطة والآخر في طومبيزا- لرشيد ميموني د. بن جماعي أمينة
111	الوشم لغة صامته في الوسط العقابي عبد الوهاب باشا
123	صورة الموريسكي في المتخيل الإسباني هشام بن سنوسي
140	مفهوم الجمال في نظرية الثقافة لمالك بن نبي بوشیخي علي
152	الاستشراق الفرنسي - وتوظيفه الاثنوغرافي في احتلال الجزائر مسعود بودربالة
166	دراسة طوبونيمية لبعض القرى في منطقة تلمسان نجراري فاطيمة
174	من تداوليات الترجمة إلى تداوليات التعدد اللغوي أ. بلقرنين عبدالقادر
187	عبقرية توظيف التراث لميلاد المسرح الجزائري سماش سيد أحمد
	دور القناة الفضائية الخامسة الجزائرية في التنشئة الدينية لدى الطفل الجزائري

مجلة الفكر المتوسطي
العدد الحادي عشر / جوان 2016

201	قَدّوري عبدالقادر
218	واقع قيم المواطنة في الجزائر بين الاعلام الجوّاري وتأثيرات العمولة الإعلامية عايد كمال
228	شباب الجالية و التدين عبر الانترنت (بين عالم الواقع والوهم) وحياني نزيهة
242	الصورة في العالم الافتراضي والهوية الاجتماعية بلجيجالي تورية أ.د.بن لباد الغالي
252	رؤية سوسيو اتصالية للثورات العربية بن عائشة الزهرة
268	تكنولوجيا الإتصال والإعلام وصناعة العالم الافتراضي بوزيان عبد النور
278	دور وسائل الاعلام في تفعيل المشاركة السياسية لدى الشباب الجزائري. بن عزة فاطمة الزهراء- سيكوك قويدر
292	الشباب العربي والمنظومة العلائقية الافتراضية الجديدة بلعيد سارة
305	صورة المرأة في الخطاب الغربي و العربي دريسي ثاني سولاف
321	هوية الشباب بين الواقع الاجتماعي والعالم الخيالي في الإشهار التلفزيوني جلالي فطيمة
337	الملخصات

استعمال الأحلام كتقنية علاجية نفسية.
طالبة دكتوراه: جميلة ملوكي (جامعة أحمد بن أحمد وهران 2)
أ.د. بختاوي بولجراف (جامعة أحمد بن أحمد وهران 2)

الملخص

يدور موضوع المقال حول الاحلام وفائدتها في مجال علم النفس ،حيث تعتبر مادة هامة في الميدان النفسي للوصول الى التشخيص في بعض الاضطرابات النفسية والعقلية . وعليه سوف نحلل العلاقة التي تربط الأحلام بالإمراض النفسية والعقلية وكيف يمكن اعتبارها أسلوب تشخيصي وعلاجي .

Résumé

Le thème des rêves et de leur utilité dans le domaine de la psychologie, comme un matériau important dans le domaine psychiatrique est considéré pour atteindre le diagnostic dans certains troubles mentaux. Et nous allons analyser la relation entre les rêves et la maladie mentale et comment elle peut être considérée comme une méthode diagnostique et thérapeutique.

Abstract

The theme of dreams and their usefulness in the field of psychology as an important material in the psychiatric field is considered to reach the diagnosis in some mental disorders. And we will analyze the relationship between dreams and mental illness and how it can be considered a diagnostic and therapeutic method.

تمهيد:

إن الإجهادات الت أريحي بشأن موضوع الأحلام تفيد بأن الإنسان ومنذ القدم قد تأمل الرابطة بين الأحلام والأمراض ومن منظورات متعددة ، وقد أفادت بعض الدراسات الأثروبولوجية على المجتمعات البدائية والمعاصرة أن الإنسان ربط ومن القدم بين حالة المرض وحالة الحلم ، وردّ الحالتين إلى فعل القوى الخارقة، وقد ظهرت عدة محاولات لت فسّر ذلك، لكن محاولات العالم النفسي فرويد كانت أول من جلب الانتباه إلى العلاقة بين الأحلام والأمراض خاصة النفسية منها، ومما لا شك فيه أن فرويد كان أول المساهمين في إرساء معالم هذه العلاقة في العصر الحديث، حيث وضع الأحلام وتفسيرها كحجر الزاوية في نظرياته التحليلية النفسية تشخيصا وأسلوبا وعلاجاً .

ونحن في هذا المقال سوف نحاول ان نبحت عن العلاقة التي تربط الاحلام بالأمراض النفسية والعقلية، ثم هل يمكن استعمالها كتقنية تشخيصية ومن ثم علاجية لبعض الامراض النفسية؟

1/ العلاقة بين الأحلام والأمراض النفسية:

تضم الأحلام من وجهة النظر النفسية: أحلام النوم وهي المشاهد والمواقف التي نراها ونعيشها أثناء النوم، كما تضم أحلام الحياة التي تعبر عن تطلعاتنا وأمنياتنا التي نسعى إلى تحقيقها في المستقبل، وتعتبر الأحلام من الظواهر الصحية الهامة لاحتفاظ عقلنا بلياقته أثناء النوم حتى لا يضعف حين يعود إلى اليقظة.

ونحن في ممارستنا للطب النفسي نلاحظ أهمية الأحلام من خلال ارتباطها بالحياة النفسية للمرضى والأصحاء على حد سواء، ومن خلال ما تعنيه بالنسبة للصحة النفسية حتى لو كانت مجرد أحلام غامضة.

وبالنسبة للطب النفسي فإن الحلم سواء كان من أحلام النوم أو من أحلام اليقظة فإنه يمثل الباب الملكي لقراءة وفهم الكثير مما يدور في العقل الباطني للإنسان.

ولا بأبس أن نذكر أن العالم سيغمون فرويد قد توجه إلى موضوع الأحلام بصورة جديدة نحاول البحث فيها كما تناول العلم والعلماء البحث في مسائل علمية، حيث اعتبر أول من وجد

الرابطة بين أحلام المرضى المصابين بأمراض نفسية وبين حياتهم النفسية، وقد اعتمد على الأحلام لاستقصاء محتويات النفس ومكوناتها من خلال استعمالها كأسلوب علاجي تحليلي بحيث أخذ عن غيره في هذا المجال وأضاف إلى دراسة الصبغة العلمية.

وقد لجأ فرويد في بداية ممارساته إلى عملية التحليل النفسي كوسيلة لاستقصاء التجارب والذكريات المنسية في حياة مرضاه، كما اعتمد على طريقة التنويم المغناطيسي والإيحاء لإحياء التجارب المنسية، واعتمد على أسلوب التداعي الحر أثناء الوعي الطبيعي للمريض، هذه الطرق جعلت فرويد يلاحظ "أثناء إصغائه إلى مرضاه وهم يتابعون مسيرة وتنقل أفكارهم أثناء عملية التداعي الحر، بأنهم كثيرا ما يتجهون إلى الإفشاء بمحتوى بعض أحلامهم وبصورة تلقائية، وبأنهم أثناء هذا الإفشاء يظهرون انفعالا عاطفيا، وبأن ذلك يؤدي بهم إلى حالة من الراحة والانفراج"¹.

وقد ظل يعتبر فرويد أن كل حلم يعتبر تعبيرا من رغبة مكبوتة والتي قد تعود في أصولها إلى مرحلة الطفولة، أو تعتبر ذو طابع جنسي حيث كتبت في مرحلة الطفولة بسبب المحاذير والنواهي، وعلى هذا الأساس الذي اعتمده في تكوين الأحلام اعتبر فرويد أن هذه الطريقة تعتبر لبنة الحياة النفسية وديناميتها في حالة الصحة والمرض، فهو يقول أن "الصراعات والقوى النفسية الكامنة في اللاوعي هي التي تكون العناصر الأساسية والجدور العميقة للاضطرابات النفسية، ووجد في الأحلام الطريق لاستقصاء هذه المحتويات في اللاوعي، والتي تكمن فيها جذور هذه الاضطرابات"².

بمذه الطريقة اعتبر فرويد الأحلام طريق معبد إلى اللاشعور وبواسطتها يكشف عن التجارب الماضية وبالتالي يمكنه عبرها تشخيص الحالات المرضية، وقد اعتمد في ذلك على إعادة صياغة المحتوى الظاهر للحلم ورده إلى أصوله في المحتوى الكامن، حيث يعتبر هذا الأخير هو أساس الحلم وسببه "الذكرى التي تبقى لنا من الحلم تسمى المحتوى الظاهري، وعن طريق التحليل نكشف وراء هذا المحتوى الظاهري عن الأفكار الأولية التي تعرضت لعمل الحلم، والذي يطلق عليها الأفكار الكامنة للحلم... فالمحتوى الظاهري والأفكار الكامنة للحلم يبدو لنا كتصويرين مختلفين لنفس المحتوى، كلغتين متباينتين معبرتين عن نفس الفكرة"³.

فإذا كان المحتوى الظاهر للحلم هو ما يبقى عالقا بذاكرتنا بعد الاستيقاظ من النوم فإن المحتوى الكامن " ذو علاقة مباشرة بالاشعور ،لذلك نجد فيه التجارب، الخبرات والهوامات الطفلية، أي الماضي البعيد"⁴.

وقد قام فرويد بالمقارنة بين الأحلام والأعراض المرضية حيث أن الحالتين في نظره تعبران عن رغبة مكبوتة في اللاوعي والتي هي في صراع دائم للتعبير عن وجودها والظهور، أين تظهر إما عن طريق صور وخيالات الأحلام أو على صورة أعراض مرضية، وفي كلتا الحالتين فإن الرغبات المكبوتة في اللاوعي هي التي تزود القوة الحافزة والتي تمكن الأحلام أو الأعراض المرضية من الظهور والشبه بينهما هو أن "الأحلام كالأعراض المرضية تمثلان تعبيرا مستترا ومتغيرا للمحتوى الكامن في اللاوعي، وكل واحد منهما يعبر عن ذلك بطريقته الخاصة"⁵. وهذا التشابه الذي استنتجه فرويد كان عن طريق تحليله لحالات من الهستيريا والتي من خلالها توصل إلى الخصائص المميزة لعملية الحلم والعملية النفسية التي تحدث في الأعراض المرضية النفسية هي نفسها، ما جعله يطلب من مرضاه (المصابين بمرض الهستيريا) بمتابعة عملية الترابط والتداعي للصور والأفكار التي عرضت في أحلامهم.

هذه الطريقة التي أتى بها العالم فرويد وغيره ممن سبقوه مهدت للعديد من الدراسات اللاحقة والتجارب العلمية في معرفة الرابط بين الحلم والأمراض النفسية، فقد قامت عالمة النفسانية "جايل دلاني" Gayle Delany من مدينة سان فرانسيسكو بالولايات المتحدة الأمريكية بتجربة عن الأشخاص المصابين بالقلق ومحتوى أحلامهم بحيث خلصت إلى أن "القلق يظهر في الأحلام في صور رمزية جاءت من اللا شعور ... والرموز تلك هي لغة بصرية نراها في الأحلام... فالأحلام تشبه الشعر، يمكنك فهمه إذا عرفت الكناية والاستعارة في اللغة..."⁶.

ومثال على ذلك الحلم التالي الذي يعبر عن القلق حيث تقول صاحبه الحلم: (لقد كان الوقت ليلا مظلمًا، وشعرت أن رجلا يهددني بسكين من الخلف، وعندما استدرت لمواجهته سقط بعض الضوء عليه واختفى وترك إناء ممتلئ بسائل، فاقتربت لتذوق هذا السائل فإذا به مشروب خمري).

وقبل أن تفسر العاملة النفسية جايل دلاني هذا الحلم الذي أقلق مريضتها وأخافها طلبت منها أن تفسر لها ما يتبادر في ذهنها عن معاني السكين والخمر وما إذا كان هناك موقف يشابه الموقف الذي رآته في الحلم بينما كان قد وقع في اليقظة ... وبعد استرسال وتحليل المعاني من طرف المختصة النفسية ، توصلت إلى أن مريضتها كانت خائفة من الحلم لاعتقادها أن كل الرجال يتحولون إلى سكارى مدمنين على الخمر وبإمكانهم أن يقوموا بأي شيء ... حتى الضرب بالسكين مثل أنوها.

وبهذه الطريقة استطاعت العاملة النفسانية اختصار الطريق في معالجة مريضتها من خلال الحلم بحيث أن القلق والاضطراب الذي كانت تعاني منه ولم تستطيع أن تفيدها عن أسبابه في حالة اليقظة، استطاعت عن طريق تحليل حلمها معرفة مصدره* .

وهذا يعني أنه كلما غنت الشخصية من القلق والاضطراب ظهر ذلك حتى في الأحلام، بل أحلام هذه الفئات تعبر عن الاضطراب الذي تعاني منه: ولها القدرة على أن تخبرنا ما بدواتنا، وهناك أنواع من الأحلام يجب ألا ننظر إليها فقط على أساس أنها انعكاس لحالة المريض النفسية، بل على أنها محاولات لحل الصراعات.

Rosqlind

وفي دراسة أخرى قامت بها العاملة النفس (روزا ليند كارترابت

(cartwright) وهي أستاذة في علم النفس بالولايات م.أ على أحلام المطلقين من النساء والرجال والذين يعانون من الاكتئاب، قامت بدراسة أحلام 150 رجل وامرأة ممن طلقوا حديثا حيث وجدت أن المطلقين المصابين بالاكتئاب أظهروا نفس علامات اضطرابات النوم التي توجد في مرض الاكتئاب، ولاحظت "أن مراحل حركة العين السريعة ظهرت مبكرا من موعدها الطبيعي، كما أنها استمرت فترة طويلة (من 20 إلى 30 دقيقة)، ومحتوى أحلامهم كان مختلف تماما عن أحلام المتزوجين السعداء أو المطلقين الذين يعانون من الاكتئاب"⁷.

وتعلق على ذلك العاملة النفسية بأن هناك أحلاما صحية وأحلاما غير صحية ... فالأحلام الصحية تساعدنا على حل مشاكلنا وعلى التخطيط السليم لمستقبلنا أما الأحلام غير الصحية فهي التي تجعلنا مرتبطين بالماضي ومآسيه.

وعلاج الأشخاص المصابين بالاكنتاب يمكن أن يكون عبر الأحلام كذلك، لأن هؤلاء الأشخاص لديهم نظرة سلبية وتشاؤمية للحياة وإذا استطعنا أن ندخل أفكار إيجابية في عقولهم ينعكس ذلك كذلك على محتوى أحلامهم. وبالتالي نساهم في الشفاء من مرض الاكنتاب. وفي نفس الاتجاه يذهب العالم (ريفرز) حيث يقول "إن العقدة الحديثة يكون لها أكبر الأثر في تكوين الحلم، وأنها تسبب مرضا نفسيا قد يصطبغ بلون ما سبقه أو يلونه ... فإذا لم تكن المشكلة الحديثة قد بلغت حد العقدة وإنما لها علاقة بالعقدة القديمة فحسب، فهي أيضا تحفز على بناء الحلم وتكون مادته"⁸.

فهو يرى أن العقل البشري يطوي الزمن أثناء النوم، مبتدئا من الحاضر ومنتها إلى الماضي، ولكن العقل لا يبدي من مشكلات الحاضر إلا أهمها بالنسبة للحالم، أو إذا كان لها ارتباط بمشكلة أو عقدة قديمة، ومن ثم فإذا أردنا تفسيرها شاملا للحلم، وجب علينا أن نهتم بالمشكلات الحديثة على اعتبارها رموز وإشارات تشير إلى مشكلات قديمة كما يقول فرويد، وإنما يجب أن نلم بالمشكلات الحديثة أيضا ونعرف مدى تأثير الحالم بها، ومدى ارتباطها بالمشكلات القديمة العهد.

وهو في ذلك يقول "إن ميل فرويد إلى اتخاذ أحداث الطفولة وحدها أساسا عاما، وإهماله العقد الحديثة التكوين يحد نقطة ضعف في نظريته المرض النفسي والأحلام على السواء، فقد أثبتت التجارب أن لبعض العقد الحديثة التكوين أثرا في بناء الحلم والمرض النفسي أكثر مما كان يظن"⁹.
فنظرية هذا العالم في الأحلام تقوم أو تتخذ صفة رجعية أي أن العقل يعمل في أثناء الحلم ابتداء من المشكلات والحوادث والعقد القريبة ثم يمضي إلى المشكلات والعقد القديمة، ونحن نلاحظ أن كلا الرأيين (فرويد، ريفرز) يصبان في نفس المصب وهو أن وظيفة الأحلام هي حل العقد والمشكلات التي عجزنا عن حلها في أثناء اليقظة أكانت قديمة أم حديثة العهد.
أما العالم شتيكل فقد كان له الفضل الأكبر في تقديم نوع الرموز التي تظهر في الأحلام والتي تدل على المرض النفسي والمجسد في صورة أشخاص والذي أسماه:
« personification of parapythy »، وهو يشير إلى خمسة أنواع من الرموز التي تدل على المرض النفسي من خلال تحليله للعديد من الحالات ومحتويات أحلامهم وهي:

مجلة الفكر المتوسطي

العدد الحادي عشر / جوان 2016

- 1- "مصادر السلطات: الملك، الوزراء، رجال الدين، الأب... الخ.
 - 2- الأقارب: الأخ، الأخت، العم، العممة... الخ.
 - 3- المتصلون بالعائلة من بعيد: كالخدم، والأصدقاء، والأعداء...
 - 4- الوحوش الكاسرة والشياطين، والمجرمون والشحاذون.
 - 5- الأشياء المقفلة أو المقيدة: كالقفص، الغرفة، البيت الضيق، الجبل السميكة، السلسلة... الخ"¹⁰.
- وهذه الرموز استقاها من مرضاه المصابين بالعصاب النفسي حيث أن أحلامهم تحتوي على إحدى هذه الرموز التي ذكرها، وأما بقية الأمراض النفسية الأخرى فتميزها رموز معينة، حيث أن كل مجموعة من الرموز تشير إلى نوع معين من الأمراض النفسية، وظهور الرمز في الحلم هو كعرض لتشخيص نوع المرض النفسي.
- "فالخجل له رموزه المعينة، والضعف الجنسي، أو البرود الجنسي له رموزه واللعثمة تدل عليها رموز خاصة... وغيرها من أعراض الأمراض النفسية فمن الرموز التي ترمز للعثمة:
- 1- أن يقطع المرء شوطا بعيدا في الاتجاه الخاطئ.
 - 2- الانزلاق على جدار أملس.
 - 3- الخوف من الوحوش الكاسرة أو السيارات المسرعة.
 - 4- الخوف من المجانين والمخمورين والثورات وغيرها من الظروف التي يوضع فيها عامل ضبط النفس في الميزان.
 - 5- الإنذار بالحريق.
 - 6- الخوف من رؤيا اللصوص أو الصراخ وطلب النجدة.
 - 7- انهزام البوليس أمام اللصوص، أو الانهزام في المباريات والمصارعات.
 - 8- احتباس الأنفاس.
 - 9- الإنحصار في مكان ضيق... الخ"¹¹.

و هكذا الأمر بالنسبة لجميع الأمراض النفسية حيث كل رمز معين في الأحلام يدل على عرض معين من الأمراض النفسية. و معرفة هذا الأخير عبر الأحلام يساعد في التشخيص وبالتالي يسهل عملية العلاج بالنسبة للمختصين والمحللين النفسانيين.

و من الأمثلة على ذلك الحلم التالي لفتاة تبلغ من العمر 19 سنة حيث تقول أنها حلمت أنها تسير رفقة شاب وهو صديق لها، وبينما هي تتحدث معه في مواضيع مختلفة مرا على مجموعة من الفتيات، فانفجرن ضحكا عليها... وفجأة تظلمت الدنيا في وجهها ولما رفعت رأسها لاحظت أن سكان المنطقة ينظرون إليها من وراء ستائر حمراء بالنوافذ، فتركت صديقها وذهبت (تجري) فوضع أن الحالة - ن- والتي أجرينا مقابلة معها تعاني من الخجل. فالخجل له ما يرمز إليه في الحلم وذلك كرؤية اللون الأحمر أو الوقوع في موقف مخجل والخوف من النور الساطع ...

فهذه الحالة في بداية حلمها كانت هادئة وعادية ولا تشكو من أي اضطراب ولكن انفجار الفتيات ضحكا عليها، عكر مزاجها، واحمرت وخطر لها أنها أتت شيئا مخجلا، وهو رفقتها للفتى ثم إن هذا التصرف أذى بها إلى الخجل أكثر خاصة عندما بدأ السكان ينظرون إليها من وراء ستائر النوافذ والملفت للنظر أن حتى هذه الستائر لونها أحمر أي أن هؤلاء الناس كذلك خجلون مما فعلته حتى اسودت الدنيا في عينتها وهربت تاركة صديقها لوحده، وذلك من خلال قولها فتظلمت الدنيا في عيني ... وذهبت تجري تاركة صديقي لوحده.

وهذا إذا ما دل إنما يدل من الناحية النفسية على أن الحالة تعاني من الخجل الزائد بحيث أن جميع علاقاتها مع الآخرين يحكم عليها بالفشل بسبب اضطرابها، وفي هذا المجال يقول العالم (ملدر براندت): "إن الأحلام تسمح لنا بأن نطل على أعماق وخبايا وجودنا. وهو الوجود المغلق علينا في معظمه أثناء اليقظة، وه تعطينا بصيرة قيمة عن أنفسنا، وتكشف عن ميولنا نصف الخفية ... " 12 .

كما يقول رالف والدو " ... إن الحلم يصبح رؤيا، وهو مجرد الذات (الأنا) من أعطيتها المصطنعة، ويظهرها في عريها الأصلي ... إنه يخرج من الأعماق المظلمة لحياتنا، ويظهر لنا جانبا من أنفسنا يصلنا بعالم الإحساس " 13 .

فلا غرابة في أن بعض الرموز الموجودة في الأحلام تدل على بعض أعراض الأمراض النفسية أو كلفة تعبيرية عن محتويات اللاوعي، وهنا فنقد طريقة فرويد الذي وجد في لغة الأحلام وسيلة صالحة للكشف عن الأسباب الكامنة للمرض وفي استعمالها كأسلوب في علاج الأمراض النفسية.

2/ علاقة الأحلام بالأمراض العقلية:

الصلة بين الحلم والجنون ترقى إلى أزمدة بعيدة، ولا شك أن الأطباء والباحثين إلى جانب أنهم بحثوا في نفسية الحلم ومصادره، وجهوا اهتمامهم كذلك إلى صلته بالمرض العقلي أو مرضية الحلم.

فقد كتب أفلاطون قائلا: "في كل منا، حتى الدين يبدو منتظمين تماما، نوع من الرغبة الرهيبة، الهمجية، التي لا ناموس لها، وتكشف مداها الأحلام" ¹⁴. وقال "كانت": "الجنون هو حالم يقظ" ¹⁵.

أما شوبنهاور فقال: "الحلم جنون قصير، والجنون حلم طويل" ¹⁶، والحلم لا يحمي الأدميين من الجنون، لأن بإمكان حرمان المرء من أحلامه من دون أن يستحيل مجنوننا. وقد ثبت علميا صلة الأحلام بالأمراض العقلية، فقد أعلن "كراوس" أن: "الجنون حلم يجلمه المرء وهو مستيقظ الحواس" ¹⁷.

أما العالم "قونت" فيقول: "والحقيقة هي أننا أنفسنا قد نمر في أحلامنا بما يكاد يعادل جميع المظاهر التي نصادفها في مستشفيات المجانين" ¹⁸.

لقد أجريت أبحاث عديدة في السنوات الأخيرة حول موضوع العلاقة بين الأحلام والأمراض العقلية بأنواعها، ومبعث الاهتمام في هذه العلاقة هو ما لوحظ من تشابه بين محتوى الأحلام العادية وبين طبيعة ومحتوى الحياة العقلية لبعض المرضى المصابين ببعض الأمراض العقلية كمرض الشيزوفرينزي ومرض الكآبة والتخلف العقلي والصرع إضافة إلى المصابين بالأمراض العقلية العضوية والمدمنين على الكحول.

ويقوم التشابه على أساس أن الحياة العقلية لبعض الأمراض العقلية هي حياة غير واقعية، حيث يصعب فهمها أو المشاركة فيها، مما يعطي الانطباع بأن هؤلاء المرضى يعيشون تجربة حاملة،

أو أقرب ما تكون للحلم، ففي مرض الشيزوفر نخبها وجد الباحثون شهبها كبيرا بين ما يعرض في الأحلام عند الأشخاص العادين وبين الأدوار المرضية والأعراض التي تظهر عند هؤلاء المرضى: "فغرابة طرق المريض في التفكير، وغرابة المحتوى وتسارع التغير الفكري، وبدون رابطة ظاهرية واللاواقعية ... ووفرة مظاهر التجريد والرمزية ... كل هذه تحمل شهبها عظيما بأحلام الشخص الطبيعي أثناء النوم... والحالات المرضية الشيزوفرنية"¹⁹.

كما أن هناك حالة من مرض الشيزوفر نخبها في العيادة الإكلينيكية تسمى بالشيزوفرنيا الحاملة، وهي حالة حادة من هذا المرض العقلي والتي يبدو فيها المريض حسب ملاحظتنا الشخصية لهذه الحالة وكأنه يعيش حلما مطولا، فهو يظهر في حالة ارتباك، وهو غير مدرك لحس الزمان والمكان ويعاني من هلاوس سريعة التغير ويفقد الإحساس في بعض الحالات ويتشوه حدود العالم الخارجي لديه وهو ما نلاحظه كذلك في بعض الأحيان في أحلامنا الغير معقولة بحيث قد يحدث نفس الشيء عند الشخص الحالم موقف من هذه المواقف المرضية.

أما أحلام هؤلاء المرضى في فترات نومهم فقد لا نستطيع التعرف على محتواها بسبب أن هؤلاء المرضى إما لا يستطيعون التفريق بين محتوى الحلم وبين الواقع وبالتالي لا يستطيع إعطاء بنية صحيحة عن أحلامه، وإما بسبب درجة حدة المرض وتطوره، إضافة إلى أن إفصاح المريض عن محتوى أحلامه يرتبط ويتقي بمقدرته على التعبير، وهي مقدرة تخضع بالضرورة لحالة المريض العقلية. أما الأشخاص المصابين بالكآبة العقلية أو المرضى المزاجيين فقد تمكننا من ملاحظة مجموعة من العلامات الظاهرة على هؤلاء المرضى وكان ذلك بالمستشفى الجامعي "مصطفى دمرجي تلمسان" بمصلحة الأمراض العقلية و النفسية، حيث و من خلال مقابلة أجريناها مع دكتور مختص في الأمراض العقلية و آخر في الأمراض النفسية واللدان ساعدانا في إنتقاء بعض الحالات، ميّزنا مجموعة من الملاحظات يمكن الإشارة إليها فيما يلي :

* إن محتوى الحلم الظاهري يحتوي على القليل من عناصر الكآبة بينما المحتوى الكامن يحتوي على الكثير من هذه العناصر.

* محتوى أحلام الكئيب تدور حول أفراد العائلة والأسرة والمجتمع القريب من الفرد مقارنة بمحتوى أحلام بعض الأمراض الأخرى.

* كما أن أحلام الكئيب أقل عنفا، وأكثر احتواءا لتجارب الفشل والمصائب وأفكار تتعلق بالموت، والنجاة، كما أن المصاب بمرض الكتابة العقلية يعاني من عدة إستفاقات أثناء نومه. إن هذه الخصائص التي تميز أحلام الكئيب وغيرها تساعد الأطباء في التمييز بين مرض الكتابة وبعض الأمراض العقلية الأخرى. كما يعتمدون الأطباء في بعض الأحيان على محتوى بعض الأحلام في معرفة مدى استجابة المريض للكئيب للعلاج، ذلك أن تحسن حالة المريض تقتزن عادة بنقص في المحتوى العدواني لأحلامه.

3/ الوظيفة العلاجية للأحلام:

لعبت الأحلام دورا رئيسيا في تطور التحليل النفسي، ولكن في السنوات الأخيرة كان هناك اهتمام متجدد باستخدام الأحلام في سياقات أخرى، وخصوصا في استخدام محتوى الحلم الظاهر في بحوث الشخصية والذي يتضمن أشخاص غير مرضى في مجتمعنا. إنه يمكن اعتبار الأحلام كإسقاط للشخصية وانعكاس للثقافة، كما يمكن استخدامها لفهم أفضل التفاعلات بين الثقافة والشخصية، وذلك من خلال التنفيس عن المشاعر المكبوتة التي يتم سردها عبر الأحلام والتي تفيدنا في تحديد الشخصية، وهي شبيهة في ذلك بصمام الأمان حيث أنها تعطي للرغبات المكبوتة فرصة التحقق ولو بصورة جزئية في ظل أمان النوم، وبذلك تمنع هذه الرغبات من أن تتجمع وتظهر توتر شديدا في شخصية الإنسان أثناء اليقظة والذي من شأنه أن يؤثر على سلوك الفرد في ظل ثقافة معينة.

إن التجارب والأحداث التي يمر بها الفرد ولاسيما التي تترك آثارا حية في الشعور كالتى يكون مصدرها القلق والخوف الغير المتحكم فيه، وأثر الصدمات غير المنسية والرغبات التي لن تتحقق إطلاقا، والمشاكل والصراعات التي يمر بها الفرد بصفته جزءا من المجتمع يؤثر ويتأثر بما يدور حوله، كل هذه التجارب والأحداث يعالجها الحلم بطريقة خاصة ويخفف بها عن النفس، يقول في ذلك الباحث بوركينج (Purkinge) "... إن النوم يخفي ويخفف الجروح التي يعيشها الفرد في النهار"²⁰.

إن هذه الأحداث سواء كانت قديمة أو حديثة يقوم الحلم بإعادة إنتاجها وبنائها عن طريق التفريغ الهلوسي حتى لا تبقى لها آثار وتتفاعل في الشعور وهنا تكمن وظيفة الحلم العلاجية

بحيث يحافظ الحلم على التوازن النفسي ويجنب الشخصية من صراعات قد تؤدي في نهاية المطاف إلى اضطرابات نفسية، ويؤكد ذلك العالم رالوا، روميروج وآخرون: "أن الحلم ضمان للتوازن النفسي، وهو يمثل الصدارة في الحياة النفسية، ويلعب دورا أساسيا في الحفاظ على العلاقات مع الواقع الخارجي عن طريق استنزاف الهجوم المزعج للمتبقيات النهارية"²¹.

إذن يلعب هنا الحلم دورا هاما عند الفرد بحيث يساهم في تخلص الشخصية من الصدمات المؤلمة والصراعات عن طريق التفرغ وترميم وإصلاح كل ما هو مضطرب داخليا وخارجيا، كما يساهم في التخفيف من العدوانية المتولدة عن الأحداث التي ذكرناها وبالتالي يمكننا اعتباره كعلاج ذاتي فرديا لكل شخص يتمتع بهذه الظاهرة على أن الشخص الذي يحرم من الحلم "يصاب بالحصر، عدم التناسق الحركي، واضطرابات الذاكرة، واضطراب في المفهوم الزمني"²².

وهو ما جعل الحلم ضرورة لازمة للنفس البشرية للحفاظ على توازنها بواسطة التنفيس عن الضغوطات الداخلية التي تتسبب في أزمات خارجية، وسوف نتطرق في العنصر اللاحق من هذا المقال بنوع من التفصيل إلى هذا الدور الذي تتميز به الأحلام والذي يساعد بعض المختصين النفسيين في استعماله كأداة علاج فعالة في الكشف عن بعض الاضطرابات النفسية.

6- استعمال الأحلام كتقنية علاجية نفسية:

يعد تفسير الأحلام واحدا من القواعد الأساسية في المعالجة النفسية فقد قام بها فرويد، و أدلر، ويونغ، وكل الدين أخذوا باتجاههم، وغيرهم من المتأثرين بإنجازات مدرسة التحليل النفسي. ويجتمع هؤلاء عند القول بأن فهم الحلم يعني الوصول إلى جزء مهم من محتويات اللا شعور عند الفرد المضطرب نفسيا، مما يكون العامل والمحرك في اضطرابه، سواء كانت هذه المحتويات رغبات أو دوافع مكبوتة أم كانت مركبات متصلة بمشاعر الإثم، أو بخبرة مؤلمة حدثت قديما أيام الطفولة، أو في إحدى مراحل نموه السابقة.

"إن من الإجراءات العلاجية للكشف عن المشاعر أو الصراعات تفسير الأحلام، وقد أشير قديما إلى الأحلام بأنها الطريق الملكي إلى اللا شعور لأنها تتضمن تجسيدا وتجسيما لرغباته المكبوتة، وتمثل صراعاته الداخلية وتعبّر عن ذلك إما بطريقة مباشرة أو بطريقة رمزية ... وهذا المنهج قائم على أساس أن للحلم محتويين:

- 1- المحتوى الظاهري: وهو عبارة عن سرد الحلم وأحداثه كما ظهر للحالم.
2- المحتوى الخفي: وهو عبارة عن المعنى الرمزي للمحتوى الظاهر... ، حيث يمكن تطبيق فكرة المحتوى الظاهر والخفي على التداعي الظاهر للمريض، وعن طريقه يمكن معرفة المعنى الرمزي الخفي²³.

إن قوة الحلم مألوفة بطبيعة الحال لدى كل مختص محترف في العلاج النفسي، وكل ما ظهر في العقود الماضية بدون استثناء أو ما يقرب من ذلك ساعد على بعث حياة جديدة في أجواء العيادات النفسية، بحيث أن الكثير من الحالات النفسية المرضية تستدعي العلاج عن طريق الأحلام، خاصة بالنسبة للأشخاص الذين يواجهون صعوبة في البوح بالأسرار والتعبير عن ما يلج في أغوار نفوسهم.

وهنا يتحول الحلم عند المحلل النفسي إلى تقنية ذات قيمة كبرى بحيث تضع المريض أمام أحاسيسه وجها لوجه، وبصورة مباشرة بحيث تترك الفرصة للمريض بسرد أحلامه لاسيما المهمة بالنسبة إليه، وهنا تتاح للمحلل فرصة الدخول إلى حياته الخاصة.
إن المعالج النفسي يهتم بالأحلام أيا كان مصدرها ومحتواها، ويعتبر أن تحليلها ودراستها نافذة على دخيلة نفس المريض واهتماماته وارتباطاته وتعلقاته، وهذا يساعده بدرجة كبيرة في النواحي التشخيصية والعلاجية.

"إن اعتبار الحلم صورة تحكي واقعا بشكل مجسم والنظر إليه على هذا النحو يجعلنا نعي حقائق ما لدينا من مشكلات داخلية، وفي حالة الربط بين حلم معين وبين صور عقلية تحدث للمرء في الحياة، فإننا نتمكن بذلك في الغالب من اكتشاف كيف أن حياتنا لا تزال بعد تهيمن عليها (تراكيب) كائنة في التكوين النفسي للفرد"²⁴.

إن هذا التكوين النفسي للفرد والذي أظهر اضطرابا عند الشخص قد يكون مستمد منذ الطفولة المبكرة بحيث أن الطبيعة المحيطة به لم تكن ملائمة لشخصيته (أي شخصية هذا الطفل)، كطريقة تربية الآباء، والظروف الصعبة والمتذبذبة، والمحيط الاجتماعي والأزمات... كل هذه العوامل تظهر الصور الغير ملائمة لشخصية هذا الطفل إبان الرشد. ويظهر الحلم هنا ليرينا جانبا من جوانب الشخصية الذي كنا قد أهملناه أو يظهر لنا حقائق دوافع كان قد كبتها وطردها الفرد

من حيز الشعور ، نظرا إلى أن الأصوات الداخلية لديه نهته بأن الدوافع تلك كانت مخجلة وتسم بالخطورة.

ولكي نتبين الجذور الكامنة وراء تلك المشكلات وأخرى عند بعض المرضى النفسيين فإنه لا بد من البحث عن ما يكمن وراء الصور المباشرة للحلم، ولا يكون ذلك عن طريق افتراض وجود محتوى ظاهر ومحتوى كامن للحلم فقط كما ذكر فرويد، وإنما أن نتيح الفرصة والمجال للصور العقلية للحلم لتتحدث عن نفسها وتعبّر عن مكوناتها بكل تلقائية.

والمعالج النفسي الذي يعتمد على الأحلام كتقنية علاجية يعتبر أن جميع صور الأحلام إنما هي جزء لا يتجزأ من دواة مرضاهم كونها تؤلف تهديدا للصور الشعورية التي نحلها عن دواتنا في دنيا الواقع.

ولكن هذه الطريقة تصلح مع بعض المرضى الذين يتسمون بالكتمان الشديد والحذر، وهذا يشكل صعوبة في التواصل مع المريض ومعرفة ما بداخله، لذلك يطلب المعالج النفسي دائما في هذه الحالات وأخرى من المريض أن يقوم بحكاية آخر حلم رآه، أو أهم حلم لديه ترك أثرا عميقا، ويكون بهذا مدخلا إلى حياته الخاصة دون أن يعلم هذا الأخير عن الهدف.

ثم إن الشخص يحكي الحلم ولا يخاف أن يؤاخذ عليه، فهو حلم وليس حقيقة، وهو في نفس الوقت يسقط في روايته للحلم أشياء كثيرة لا يمكن أن يصرح بها في حديثه العادي.

كما أنه في كثير من الأحيان يُعتمد في جلسات العلاج الجماعي على الأحلام كوسيلة لاستقراء واستنطاق الأفراد داخل الجامعة، فعندما يصل الحديث داخل الجماعة التي تمر بالعلاج الجماعي إلى نقطة مسدودة، يقوم المعالج بسؤال أحدهم أن يروي له آخر حلم رآه، ثم بعد ذلك يطلب من الأعضاء المشاركين في العلاج بتفسير الحلم ، وهنا يقوم كل فرد بإسقاط ما بداخله والاستعانة به لتفسير الحلم، وبالتالي استنطاق ما هو مسكوت عليه وتعبير عن الآخر من خلال الأنا، أما الشخص صاحب الحلم فإنه بعد الاستماع إلى التفسيرات التي أسقطت على حلمه فإنه ينتقد ويجهد لتحليل حلمه وبالتالي يقوم باستخراج كل ما بداخله ويسقطه على الحلم، وهي الطريقة المثلى في الكشف عن بعض الخبايا التي يرفض صاحبها الإدلال بها إلى المحلل، وسواء كان

هذا الحلم حقيقة أم سيناريوهات يقوم بها المريض فإنها تعكس صراعاته الداخلية، ومواقفه اتجاه الكثير من القضايا.

تم إن نوع من الأحلام وهي الأحلام التكرارية ، دور كبير في إظهار بعض جوانب الخلل والقصور في الشخصية، خاصة في علاج بعض الأشخاص الذين يعانون من حالة مرضية نفسية، فتكرار الأحلام عند هؤلاء هو أشبه ما يكون بتكرار الأفكار التسلطية أثناء اليقظة في بعض الأمراض، وينوه هذا التكرار لحلم ما عن أن هناك إلحاحا نفسيا داخليا لاستعادة تجربة معينة مع ما كبت معها من عواطف متصلة بها.

"وتكرار الحلم معناه أن المحاولة للتذكر مازالت قائمة، أما إذا استطاع الفرد استعادة التجربة المكبوتة وأن يعيشها ثانية في حقيقتها، فإن لهذه الاستعادة أن تحرر العاطفة المتحددة معها، وأن يؤدي ذلك إلى الشفاء وانتهاء تكرار الحلم"²⁵.

لقد وجد الكثير من الأخصائيين النفسانيين في الأحلام ما يساعد على تشخيص صراعات نفسية والتي تكمن وراء ظهور حالات مرضية، بينما وجد آخرون فائدة التنبؤ المبكر بواسطة الأحلام لمصير الحالة المرضية، لاسيما من خلال التحليل النفسي للحالة المرضية، فقد اعتبرت عند أهل التخصص وسيلة للتشخيص والعلاج والتنبؤ لمسيرة بعض الأمراض. إضافة إلى أنها في بعض الأحيان تؤدي إلى الوقاية من الوصول إلى بعض الحالات المرضية عن طريق الإرضاء الجزئي للربغبات المكبوتة والتي لا تقاوم لو ظلت بدون إرضاء، وعبر هذا الإرضاء الذي يتم عبر الأحلام فإنه من شأنه التخفيف من الضغوطات والتوترات النفسية في الحياة العادية للفرد وأن يساهم في الإبقاء على حياته النفسية في حالة متوازنة وسليمة وطبيعية.

إن هذه الطريقة أي اعتماد الأحلام كوسيلة للكشف عن الصراعات والربغبات الخفية والتي لا يعرف الفرد الحالم بوجودها في وعيه واستعمالها كأداة علاج للتصدي لبعض الصراعات والربغبات، وإن تبدو حديثة إلا أنها كانت تستعمل في مجتمعات قديمة، فقد قام الباحث الأنثروبولوجي "ولاسا Wallace" ببحث في هذا الموضوع في مجتمع "إروكواز Iroquois" والذي توصل إلى: "إن مجتمع الأروكواز قد تحول إلى درجة عالية من التطور في الفهم النفسي، وإلى حد إدراكهم لوجود أجزاء غير واعية من العقل كما أنهم أدركوا ما للربغبات اللا واعية من قوة عظيمة،

وعرفوا بأن إفشال هذه الرغبات له أن يؤدي بالتالي إلى حدوث الأمراض العقلية والنفسية والجسدية، وقد أدركوا أيضا بأن هذه الرغبات قد عبر عنها بصيغ رمزية في الأحلام، وبأن الفرد نفسه لا يستطيع دائما تفسير هذه الأحلام، كما أنهم لاحظوا الفارق بين المحتوى الكامن والمحتوى الظاهر للحلم، واستعملوا أسلوبا أشبه ما يكون بأسلوب التداخي الحر للكشف عن المحتوى الكامن للأحلام²⁶.

ويتضح من هذه المعتقدات والتي كان يتم تمثيلها طقوسيا في هذا المجتمع بأن بعض المجتمعات القديمة أو البدائية قد توصلت إلى فهم بعض القواعد الأساسية لعلم النفس الحديث التي استند عليها في التشخيص والعلاج، فالمجتمع الأروكوآزي، قد استخلص من محتوى الأحلام الطقوس الواجب اتباعها في عملية العلاج لكل حلم ، فهو يرى في بعض محتويات الحلم ما يرمز إلى الأعراض المرضية، والطقوس العلاجية التي تختار لكل حالة الهدف منها هو حل تلك الصراعات اللا واعي والتي عبرت عنها رموز الحلم.

كما أشار الباحث Wallace إلى أن هذا المجتمع يستعين بالأحلام كوسيلة لتشخيص بعض الأمراض الجسدية عن طريق رموز الحلم ويسعى إلى العلاج. وبالتالي يمكن أن نقول أن هذه المعتقدات التي ظهرت في المجتمعات البدائية يمكنها أن تناظر أحدث النظريات وبصورة قد تكون قريبة من التساوي بينهما، فقد توصلت بعض البحوث الحديثة إلى إبراز الدور الذي تلعبه الأحلام في علاج بعض الأمراض النفسية جسدية ولولا ضيق المجال لاستعرضنا بعض الحالات التي تم علاجها عن طريق الأحلام ، ولكن نجد من المفيد تقديم نتائج هذا البحث الذي قام به البروفيسور "بيار مارتى*، Pierre Marty" حيث يقول: "وفي هذا البحث أكدنا على ضرورة استخدام تقنيات الحلم والمحتوى الحلمى في مختلف فروع الطب النفسى الجسدى، كما دعونا في حينه إلى تشجيع حدوث الأحلام لدى هؤلاء المرضى مع مساعدتهم على تذكرها وروايتها..."²⁷.

إن هذا العالم أثناء علاجه للمرضى المصابين بالأمراض النفسية جسدية لاحظ زيادة أحلامهم وزيادة في المقدرة على التذكر وروايتها ، وفي حالة انقطاع العلاج النفسي عند هؤلاء المرضى فجأة يتم انقطاعهم عن الأحلام أو ربما العجز عن تذكر أحلامهم وروايتها، وحسب بيار مارتى فإنه بالعودة إلى العلاج النفسى لهؤلاء المرضى تعود الأحلام للظهور، وهو دليل وانعكاس

للتحسن الوظيفي لما قبل الوعي، وهذا التحسن يتضح شيئاً فشيئاً من خلال المحتوى الحلمى الذي يزيد غنا تدريجياً مع تقدم العلاج، وفي كثير من الأحيان تحتوي هذه الثروة الحلمية على بعض التعابير الجنسية الشاذة والعدوانية والتي تعيين العلاج على تبين الصراع الأساسي* .
كما وضح هذا العالم في نهاية بحثه على أن الأحلام لن تختزع وتدرس لتكون وفقاً على المحللين أو على الأطباء النفس جسدين أو على غيرهم من الأخصائيين، فالأحلام هي بمثابة معالم، وأحياناً نواقيس خطر تنبئنا عن الحالة النفسية الجسدية للحالم.

"بناء على هذا العرض الموجز، لتجربتنا في الميدان النفسي، نستطيع أن نؤكد بأن الأحلام بشكلها أولاً ومن ثم بمضمونها تكون عناصر ضرورية للتشخيص النفسي، وأهمية الأحلام لا تنتهي قط مع تحديدها للتشخيص، بل أن هذه الأهمية تمتد طيلة فترة العلاج حيث تكون مادة الحلم معلماً رئيسياً يوجهنا بانتظام من أجل خدمة سير العلاج"²⁸.

إذن إن نظرية فرويد في مجال العلاج النفسي بواسطة تحليل الأحلام لم تكن النظرية الأولى في استعمال الأحلام كواسطة للبحث عن الصراعات الداخلية ، فكما لاحظنا هناك أبحاث أنثروبولوجية عديدة (لم يسعنا المجال لذكرها) تناولت هذا الموضوع وكيف كانت الأقوام البدائية تعتمد عليها كأداة وطريقة في العلاج النفسي والجسدي والعقلي ولأجل ذلك أنشئ معابد خاصة بذلك.

وفي العصور الحديثة تطورت هذه النظرة خاصة بمجيبى فرويد ولكنها كانت نظرة ضيقة للأحلام كأداة فعالة لعلاج بعض الأمراض النفسية ففي نظر فرويد هذه الأداة تخدم غرضين اثنين: الأول هو إحداث حالة من التنفيس العاطفي، مما له أن يقلل عنف وزخم المعاناة النفسية المتجمعة بسبب الصراعات والرغبات المكبوتة، أما الوظيفة الثانية، وهي الأكثر أهمية بالنسبة إلى فرويد، وتهدف إلى التوصل إلى فهم الصراعات المكبوتة في اللا شعور، من أجل إعادة حياته النفسية وعلى أسس سليمة، ولكن مع تطور الأبحاث في هذا المجال فقد اتسع باب استعمالها ومجال الاعتماد عليها إلى الوظائف العلاجية التالية:

"* الأحلام تجعلنا واعين لأسباب الصراعات، ذلك أنها تحيي التجارب الأصلية التي أدت إلى قيام الاضطراب النفسي.

* الأحلام تطلق العواطف المكبوتة، وهي بذلك لا تقلل من الضغوطات النفسية المتجمعة وتفرج عنها فقط، وإنما أيضا تساعد على رأب الصدع والانقسام في شخصية المريض وحياته النفسية، ولها أن تؤدي بسبب هذا التحرير للعاطفة، إلى عملية شفاء تلقائي.

* الأحلام تظهر تلك الجوانب التي نحاول طمسها وإقصاءها عن وعينا وهي بذلك تجعل الواحد أكثر أصالة، إذ أنها ترفع القناع أو الأقنعة التي دأب على الاختفاء وراءها، والتي موهت عليه وعلى الناس حقيقة نفسه.

* وأخيرا فإن الأحلام تساعد الفرد على إدراك مشاكله اليومية وكيفية حلها والتكيف معها²⁹.

إذن وبصفة عامة يعتبر الحلم ضروري للنفس، إذ تتفادى بفضلها فقدان التوازن من حيث أنه يسمح لها بالتنفيس عن الضغوطات الداخلية وله القدرة على العلاج والتخفيف، فقد اعتبر علاج ذاتي فعال ووسيلة للتحقيق لل رغبات، كما يمكن بواسطته التحكم في التجارب المؤلمة.

وكل هذا يتطلب في مجال التحليل النفسي إلى المعرفة العميقة بأصول التحليل والخبرة الكبيرة في هذا المجال.

فالحلم النفسي هنا هو بمثابة المفتش العقلي الذي يقتضي أثر الخطى للكشف عن خبايا هذا الحلم وما هو غير ظاهر، فالأمر لا يتعلق إذن بأول تفسير يظهر للحلم، يمر على العقل، وإنما يقتضي أمورا أهم مسكوت عنها في الحلم التي توصلنا إلى أعماق نفسية الفرد والتي تساعد على الكشف عن مختلف الصراعات الدفينة، كما أن التحليل الجاد يأتي من خلال عدة أحلام مختلفة حتى وإن كانت تتميز بالفوضى، فالفوضى التي تظهر في الحلم ما هي إلا مظهر خارجي، وفي غالب الأحيان ما تكتسي معنى معين يعبر عن رغبة مكبوتة.

وفي حالة تحليل الأحلام من طرف المعالج النفسي وقراءتها ، لا بد أن تتوفر جملة شروط وعوامل - حسب الخبرة الشخصية و بحثنا في هذا المجال - وهي:

* الدراسة الوافية لتاريخ حياة المريض.

* الدراسة الوافية للظروف العائلية للمريض.

* دراسة العائلة التي يعيش فيها المريض والبيئة المحيطة به.

* معرفة الرموز السائدة في البيئة وذلاتها.

* القدرة على الاستماع الجيد والفهم العميق، وربط جزئيات الحلم ببعضها البعض، ثم ربطها بظروف حياة المريض للخروج بصورة كلية ذات معنى.

* القدرة على ربط ما هو ظاهر في الحلم بما هو باطني، دون إلغاء واستبعاد التفاصيل الصغيرة للحلم.

* توصيل رؤية معاني الحلم للمريض لتزيده قدرة على الاستبصار لعالمه الداخلي ورغباته العميقة والصراعات، و في ذلك محاولة للاستفادة من كل ذلك في عملية التغيير الذي يتم أثناء رحلة العلاج النفسي.

* مشاركة المريض في تفسير حلمه والتعليق عليه بهدف الاستفادة من الإسقاطات الداخلية التي تعرفنا أكثر على حياة الشخص نفسه.

ويهدف إعطاء الفرد فرصة جيدة لقراءة عالمه الداخلي وربطه بعالمه الخارجي فتكامل رؤيته وتتسع مستويات إدراكه.

وفي آخر هذا العنصر نريد أن نذكر قصة ممتعة ذكرها " يونغ " يوم كان هو و " فرويد " يحلل كل واحد منهما أحلام الآخر، وفيها أن فرويد قد روى أحد أحلامه إلى يونغ وطلب منه تفسيراً له، وقد رد يونغ بالقول أنه لا يستطيع تأويله من غير مزيد من المعلومات عن حياة فرويد فرفض فرويد على أساس أنه ما أراد أن يخاطر بهيئته، فكتب يونغ يقول: (إنه في تلك اللحظة قد خسرها كلها)*.

والمغزى من هذه القصة كلها هو أن على كل المعالجين أو المحللين النفسيين الذكر أن المريض أثناء جلسات العلاج النفسي يكون في الغالب يتحدث عن حياته ومشاكله وكل صراعاته ويسقطها على الحلم، ومحاولة معرفة أسرار المريض الداخلية وما لهذا الحلم من علاقة بالمحيط الخارجي من طرف المعالج قد تؤدي إلى إفشال جلسات العلاج بسبب تكتم المريض عن حياته الشخصية وبعض العلاقات الخارجية.

الهوامش:

1- علي كمال، باب الأحلام، مرجع سبق ذكره، ص 555-556.

2- نفس المرجع، ص 555-556.

3-Bergeret (J) et all « Abrégé de psychologie pathologique », paris, Masson, 2^{ème} Edition, 1974, p 81.

4-Garma (A) « le rêve traumatisme et hallucination », paris, P.U.F, 2er Ed, 1981, p 314.

5- علي كمال :باب الأحلام، مرجع سبق ذكره، ص 557.

6-July August « psychology today », p 50.

(*) ينظر المرجع السابق، ص 51 (باختصار).

7- عبد الحكيم العفيفي، الأحلام والكوابيس، تفسير علمي وديني، مرجع سبق ذكره، ص 49.

8- عبد المنعم الزيايدي ومختار حمزة، الأحلام: مفتاح الشخصية، الشركة العربية للطباعة والنشر، القاهرة، الطبعة الأولى، سنة 1998، ص 53.

9- نفس المرجع، ص 54.

10- نفس المرجع، ص 60.

11- نفس المرجع، ص 61.

12- علي كمال: باب الأحلام، ص 570.

13- نفس المرجع، ص 570.

14- جورج كرم: النور وتفسير الأحلام على أسس سيكولوجية سليمة، ترجمة مفيد أبو مراد، دار الرائد اللبناني، الطبعة الأولى (ب. س)، ص 347.

15- نفس المرجع، ص 347.

16- نفس المرجع، ص 347.

17- سيغمون فرويد: تفسير الأحلام، ترجمة مصطفى زيور ومصطفى صفوان، دار المعارف، القاهرة، الطبعة الخامسة، سنة 2004، ص 121.

18- سيغمون فرويد: نفس المرجع، ص 121.

19- علي كمال: باب الأحلام، ص 559.

20-Freud(S) : l'interprétation des rêves, 1967, p 79.

21-Rallo Romero, (J), (M.T) « les rêves comme unité et continuité de la vie psychique », in rev. Française de psychanalyse, 1974, p 877.

22- نفس المرجع، ص 876.

مجلة الفكر المتوسطي

العدد الحادي عشر / جوان 2016

- 23- عبد الرحمن العيسوي: مُجَدُّ أحمد النابلسي، العلاج الطبي والنفسي للاضطرابات العقلية والنفسية والسلوكية، الشركة العالمية للكتاب: لبنان، الطبعة الأولى، سنة 1998، ص 62-63.
- 24- موسوعة علم النفس والتربية، تفسير الأحلام، غسيل المخ، الجزء السابع، ص 154.
- 25- د. علي كمال: باب الأحلام، مرجع سبق ذكره، ص 573.
- 26- المرجع السابق، ص 576.
- (*) بيار مارتى: البروفيسور بيار مارتى هو مدير معهد العلوم النفس جسدي بباريس، بحيث أنه من النادر أن نطالع بحثا اليوم في الطب النفس جسدي دون أن نجد فيه ذكرا له، تشكل أبحاثه نقطة انطلاق في فرع العلوم الطبية والنفسية الجسدية بحيث قام بدراسة علاقة الجسد بالنفس ودور الثقافة والمجتمع والتربية في تكوين شخصية الفرد . مأخوذ من كتابه حول الحلم والمرض النفسي والنفس الجسدي.
- 27- بروفيسور بيار مارتى "الحلم والمرض النفسي والنفسي، دراسة تحليلية للأحلام، ترجمة وتقديم مُجَدُّ أحمد النابلسي، مركز الدراسات النفسية، والنفسية الجسدية، الطبعة الأولى، سنة 1987، ص 89.
- (*) باختصار شديد لأهم النتائج التي توصل إليها هذا العالم، من نفس المرجع.
- 28- المرجع السابق الذكر، ص 93.
- 29- الدكتور علي كمال: باب الأحلام، مرجع سبق ذكره، ص 572-573.
- (*) ينظر: موسوعة علم النفس والتربية، تفسير الأحلام، الجزء السابع، ص 155-156.